الفصل الحادي عشر

فلسطين

قضية فلسطين اليوم هي قضية كل مسلم، والخطر الصهيوني فيها هو الخطر الاستعماري الداهم الذي لا يهدد إقليم فلسطين وسكانه فقط، بل ويهدد أراضي واسعة من بلاد المسلمين حولها بالغزو والاحتلال ويهدد ثرواتهم بالنهب، وجهودهم للتنمية بالاستنزا، ف كما يهدد وجودهم ومستقبل أجيالهم، وكذلك يؤثر في عقيدتهم باحتلال مقدساتهم وتوجيه أبنائهم توجيهاً ضالاً فاسداً، ولكن هذه المشكلة أصبحت مشكلة دولية بعد أن تدخلت فيها الدول الكبرى التي تلعب بالقضية وتتدخل في شؤون المسلمين بصور شتى، ولكي تفهم القضية الفلسطينية حق الفهم لابد الرجوع إلى الجذور التاريخية الأولى للقضية الفلسطينية.

تقوم أطماع الصهيونية في إقليم فلسطين على ادعاء مزيف باطل مؤداه أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور، وأنهم خرجوا منها كرهاً، فهم يعودون إلى بلادهم لينشئوا لهم فيها دولة هي دولة إسرائيل.

فاليهودية دين واليهود ليسوا من جنس واحد كما يدعون، إذ انتشرت اليهودية بين القبائل الخزرية، وتنتسب جماعات من اليهود حالياً إلى تلك القبائل. خضعوا في إقليم فلسطين من بلاد الشام للإبادة والترحيل على يد بختنصر والرومان، ولم يبق في فلسطين منهم إلا أعداد قليلة حماهم المسلمون، وقد عاشوا في ذمة المسلمين عيشة هنيئة، ومع ذلك قاموا - كعادتهم- بأعمال غير طيبة مما جعل المسلمين لا يقبلون منهم أن يتجمعوا في القدس وما حولها.

ولم يكن عدد اليهود عند صدور وعد بلفور يزيد على (٥٣ ألف نسمة فقط) على حين كان عدد السكان المسلمين ٦٩٧,٠٠٠، أما النصارى فعددهم ١٦٠ ألفاً، وتعادل نسبتهم ٨٪[١].

أما أواخر العهد العثماني فكانت النسب على الشكل التالي:

المسلمون ٩٠٪ من السكان

النصارى ٨٪ من السكان

اليهود ٢٪ من السكان

الصهيونية والاستعمار:

الحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية سياسية استعمارية، ترمي إلى «جمع شتات اليهود وإعادتهم إلى فلسطين لتأسيس دولة لهم تحمي مشردي اليهود الذين تشردهم جميع أمم الأرض وشعوبها لأعمالهم الإجرامية وغير الأخلاقية. وقد اشتق أقطاب اليهودية العالمية اسم هذه الحركة من جبل «صهيون» أحد جبال القدس وقد تردد ذكره في التوراة والإنجيل، وكان غرضهم من اختيار ذلك الاسم هو إثارة الشعور الديني في بلاد العالم واكتساب تأييد العناصر النصرانية الغربية وعطفها، ولا يخفى أن هذه الحركة الصهيونية توسعية عدوانية، ليس في فلسطين فقط، بل في البلدان العربية المجاورة لفلسطين، وينهض دليلاً على ذلك أن «الوطن الصهيوني» في نظر غلاة الصهيونيين هو تلك المنطقة من الشرق العربي التي تمتد من وادي النيل إلى الفرات. كوحدة اللغة، ووحدة التاريخ، ووحدة الأرض،

(١) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، بيروت ١٩٧٢، ص٦٩.

ووحدة الحياة الاقتصادية المشتركة ووحدة التكوين النفسي المشترك، فاليهود في القرن الثالث عشر كانوا موزعين في أقطار مختلفة من العالم، ولا يجمع بينهم سوى أمل القدوم إلى فلسطين التي فيها بعض الأماكن المقدسة لهم، واليهود جميعاً يؤيدون ذلك باطناً، وإن أخفى بعضهم ظاهراً، ذلك لأسباب سياسية يستفيد من ورائها اليهود، واتخذها بعض الساسة خطة سياسية أو قالوا بها جهلاً بواقع ملموس[1].

ولقد نشأت الحركة الصهيونية في أواخر القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي) في أعقاب الاضطهادات التي نزلت باليهود في أجزاء متفرقة من العالم ولا سيما في روسيا، وبولونيا، ورومانيا، ووقعت الاضطهادات ضد اليهود بسبب عدم ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها كمواطنين. وبسبب سيطرتهم على الرأسمالية الكبيرة وتفوقهم في مجالات المال والاقتصاد والأعمال غير الأخلاقية التي يلجأون إليها لتحقيق أغراضهم والجرائم التي يرتكبها بعض عناصرهم لأخذ الدماء غير اليهودية لعمل فطير صهيون أيام أعيادهم، لذا كله نظرت الشعوب الأوربية إلى اليهود نظرة ضيق وتبرم، كما أشارت إليهم أصابع الاتهام كلما أصيبت الدولة بهزيمة عسكرية أو نكسة مالية، وأدت تلك الاضطهادات إلى أن يقوم اليهود بتكوين منظمة «محبي صهيون» في روسيا وتأسيس أول مستعمرات صهيونية في فلسطين عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، كما حفزت هذه الاضطهادات أحد الزعماء الصهيونيين (ليون بنسكر) إلى تأليف كتاب أسماه التحرير الذاتي قال فيه: إن العلاج الناجع لحل المشكلة اليهودية هو انتقالهم إلى بقعة واحدة من

(١) صبري جريس، تاريخ الصهيونية، بيروت ١٩٧٧، ص٧٥-١٢٠.

الأرض يكون لهم فيها وطن ودولة، فكان المكان الأول الذي اختاره أعضاء منظمة «محبي صهيون» هو إقليم فلسطين لما تأصل في اعتقادهم الديني من فكرة العودة إلى أرض الميعاد بزعامة زعمائهم[1].

ولقد كانت العزلة العنصرية- التي فرضها اليهود على أنفسهم طوال عصور التاريخ بتأثير بعض ما تضمنته تعاليم التوراة المحرفة والتلمود من تكريس للعنصرية، ومن تمجيد لليهود على أنهم شعب الله المختار-كانت هي السبب الرئيسي في محاولة السيطرة عن طريق المال، لأن هذه الطريق هي الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها الأقليات التي تريد لنفسها هذا الوضع الاجتماعي في محاولة إثبات وجودها، والدفاع عن مصالحها، وتحاول عن طريق السيطرة الاقتصادية التعويض عن أوضاعها كأقليات منعزلة في سائر المجتمعات العالمية للوصول إلى السيطرة السياسية الخفية على مقدرات الأمور في البلاد التي تحقق سلطانها الاقتصادي، ولعل الوسيلة غير الأخلاقية كانت تؤدي دوراً كبيراً لدى اليهود للتمكن من الحصول على المال والسيطرة الاقتصادية، هذا إضافة إلى الأعمال الربوية والاستغلال.

وعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) بدعوة من تيودور هرتزل زعيم الصهيونية الأول، وقد حضر المؤتمر ٢٠٤ من مفكري اليهود من أنحاء العالم المختلفة.

وكان هرتزل قد كتب كتاب «الدولة اليهودية» حاول فيه أن يقيم الدليل على أن اليهود يمثلون أمة متميزة، وفي السنة نفسها أسس هرتزل مجلة أسبوعية أسماها «العالم» التي أصبحت ناطقة بلسان الحركة الصهيونية،

(١) المرجع السابق.

واتخذ هذا المؤتمر قراره المشهور بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الكبرى، التي تمتد من الفرات إلى النيل، مع تأكيد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف كإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية التي تتولى تمويل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولقد انتخبت المنظمة الصهيونية هرتزل رئيساً لها، ومنذ ذلك الوقت أخذت المنظمة الصهيونية العالمية تسعى للحصول على ترخيص من الدولة العثمانية بتأسيس شركة تكون مهمتها تهجير اليهود إلى فلسطين، وقد عرضت أوغندة لتكون مكان اليهود، كما اقترحت ليبيا لكنهم رفضوا ذلك[1].

وأدى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى تحويل مركز ثقل الحركة الصهيونية من أوروبا إلى بريطانيا حيث كان يقيم الدكتور (حاييم وايزمان) الذي أصبح من زعماء المنظمة الصهيونية البارزين، وكان يعمل أستاذاً للكيمياء في جامعة مانشستر، وقد أتاحت فرصة اشتغال (وايزمان) بالتدريس في جامعة مانشستر مجالاً طيباً له للقيام بنشاط سياسي كبير هناك، وللتعرف على عدد من رجالات الإنكليز السياسيين، وكان من بينهم (آرثر جميس بلفور) وزير خارجية بريطانيا آنذاك. وقد بذل (وايزمان) جهوداً كبيرة لدى المسؤولين في إنكلترا لحملهم على إصدار تصريح بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكلف رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج) سير (مارك سايكس) بالدخول في مفاوضات مع الصهيونية. وفي شوال ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) قدم الدكتور حاييم وايزمان إلى سير مارك

(١) Theodor Herzle, The Complete Diaries of Theodor Herzle, Jol 4, New York.1960, P.1600.

سايكس مذكرة بعنوان «خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودي لفلسطين يتفق وأمانيَّ الحركة الصهيونية».

وقد تناولت المادة الأولى من هذا البرنامج الصهيوني أهمية الاعتراف بالكيان اليهودي في فلسطين نظرياً، واستهدفت المادة الثانية الحصول على اعتراف بالكيان اليهودي في فلسطين من الناحية العملية، وتناولت المادة الثالثة الوسائل التي يمكن بها إقامة الدولة الدولة اليهودية في فلسطين، في حين تناولت المادتان الرابعة والخامسة البحث في تطور الحكم الذاتي في فلسطين، وفي تقدم المؤسسات التي أوجدها اليهود في فلسطين(١).

وعقد أول مؤتمر بين الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن في ذي القعدة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، وقد أكد الصهيونيون لسايكس تأكيداً رسمياً أنهم يعترضون في شدة على إقامة إدارة دولية في البلاد المقدسة مهما كان نوعها حتى ولو كانت إدارة مشتركة بين بريطانيا وفرنسا وحدهما، وأنهم سيعملون من الآن فصاعداً على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية إذا أيدتهم بريطانيا في تحقيق أمانيهم القومية، وهذا هو أساس الصفقة التي أدت إلى إصدار وعد بلفور بعد تسعة أشهر حين ذاع بين الناس أن لويد جورج وزملاءه قدموا للعالم دليلاً جديداً على المثل العليا الإنسانية التي يقنعونها بتبنيهم قضية اليهود المضطهدين في جرأة(٢).

والواقع أنه بحلول عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) - عندما كان جيش اللنبي يقف أمام مدينة القدس - كانت الوزارة البريطانية مستعدة للوصول إلى قرار

---

(١) Herzle, T. Op. Cit. P.1605.

(٢) المرجع السابق.

بشأن أحلام الصهيونية ومطامعها في إقليم فلسطين العربي، وقد كانت الفكرة تتخذ شكل وطن قومي يهودي في فلسطين بدلاً من جعل فلسطين «دولة يهودية» «ويقول هربرت صمويل: إن مشروع نص الوعد البريطاني وضع بخط يد لويد ملنر Milner وأُرْسِل إلى عدد من كبار زعماء الصهيونية فأدخلت تعديلات عدة على المشروع. ومما يجد ذكره أن بعض الصهيونيين كانوا يطالبون بريطانيا «بالاعتراف بفلسطين وطناً قومياً للشعب اليهودي»، ولكن حكومة لندن لم تشأ أن تلزم نفسها بتعهد متطرف إلى هذا الحد، ورفضت أن تعد بشيء أكثر من النظر بعين الارتياح «إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين» ووطن قومي غير محدود، والفارق بين الفكرتين هو الفارق بين وطن قومي يهودي محدود في فلسطين ووطن قومي غير محدود، وأخيراً قبل الصهيونيون الأمر الواقع ووافقوا على صيغة التصريح النهائية، وكانت قد عرضت على الرئيس الأمريكي ويلسون، وحظيت بموافقته[1].

تلك كانت الظروف التي صدر فيها وعد أو تصريح بلفور في ١٥ من محرم السنة١٣٣٦هـ (٢من تشرين الثاني السنة١٩١٧م).

تصريح بلفور (١٥ محرم ١٣٣٦هـ):

وكان تصريح بلفور خطاباً موجهاً من وزير خارجية بريطانيا لورد أرثر جيمس بلفور إلى اللورد روتشيلد (أحد أركان الصهيونية في بريطانيا)، ونصه:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي

(١) Leonard Stein, The Balfour Declaration, London 1961, P.154.

تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

والذي يجدر ذكره أن هذا التصريح يطابق تماماً نص المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية إلى الحكومة البريطانية، والتي سبقت الإشارة إليها في تاريخ ٢٨ من رمضان ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، كذلك مما يجدر ذكره أنه قد ثبت أن تصريح بلفور هذا كان قد عرض قبل إعلانه على الرئيس الأمريكي ويلسن، وحظي بموافقته في آخر يوم من أيام عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، كما أيدته الحكومة الفرنسية في ربيع الآخر في السنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) تأييداً علنياً، ثم تلتها الحكومة الإيطالية فأيدته. ولكن ما العوامل التي دفعت بريطانيا إلى إصدار هذا الوعد.

لقد ذكر المعاصرون والمؤرخون أسباباً متعددة لصدور وعد بلفور، فعزاه بعضهم إلى رغبة الحلفاء في كسب الحركة الصهيونية إلى جانبهم حتى تقوم بدور المخرب في ألمانيا والدول المتحالفة معها. وعزاه بعضهم الآخر إلى رغبة إنكلترا في دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في الحرب إلى جانبها لاسيما وأن اليهود يسيطرون على الرأي العام الأمريكي، وقيل أيضاً إن الحكومة البريطانية أعطت وعد بلفور رغبة منها في مكافأة وايزمان على استنباطه مادة الأستون التي تدخل في صناعة الذخائر والمتفجرات الأمر الذي ساعد بريطانيا على كسب الحرب العالمية الأولى[1].

وواقع الأمر أن العوامل التي دفعت بريطانيا إلى احتضان الحركة الصهيونية وإصدار وعد بلفور يمكن ردها إلى ثلاثة أصول:

(١) Leonard Stein, Op. Cit. P.155-160.

أولاً: محاولة إبقاء روسيا في الحرب بعد قيام الثورة الشيوعية فيها وسقوط القيصر، لأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعة في روسيا ولا سيما الصناعات الحربية، ولهم دور قيادي واضح في الثورة الشيوعية.

ثانياً: الرغبة في سيطرة بريطانيا على فلسطين حيث يقول ونستون تشرشل في مذكراته: «وإذا أتيح لنا في حياتنا - وهو ما سيقع حتماً - أن نشهد مولد دولة يهودية - لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معاً تقوم تحت حماية التاج البريطاني، وتضم نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود- فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية».

ولقد تأكد هذا المعنى الذي صدر عن تشرشل في حديث لوايزمان مع لورد بلفور، قال فيه وايزمان: «وقد بينت للورد أن إقامة مجتمع يضم أربعة أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين سيكون قاعدة اقتصادية كافية، يستطيع اليهود منها أن ينتقلوا بطريق الإشعاع إلى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى. . لكن هذا العمل يتطلب تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين تنمية حرة غير مقيدة بحيث نتمكن من إسكان أربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد، ونجعل فلسطين بلاداً يهودية في ظل التاج البريطاني، قد أقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية بعينها، وقال أحد الصهاينة أيضاً: لقد أيدنا الثورة التركية عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) بالمال والتنظيم، ولكننا من الآن فصاعداً قد نفضنا أيدينا من الأتراك فلن يضمن لنا الجو الذي نستطيع فيه أن نجلب رؤوس أموال أمريكية ويهودية إلى فلسطين إلا حكومة أوربية، ويبدو واضحاً أن مثلهم

الأعلى هو: فلسطين إنكليزية أو فلسطين أمريكية، وهم يفضلون فلسطين إنكليزية نظراً لعلاقات بريطانية التجارية مع مصر ومركز بريطانيا لدى العرب.

رابعاً: الحقد الصليبي على المسلمين والذي أثار الأوربيين قروناً طويلة لسيطرة النصارى على القدس. وإن وجود دولة لليهود وسط العالم الإسلامي بل في مركزه ليساعد على إفساد ا لمسلمين وإضعافهم بإبعادهم عن عقيدتهم نتيجة الأخلاق اليهودية.

ويتضح إذن أن الصهيونية كانت تعد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن تحول فلسطين من أرض مسلمة إلى قطعة من الغرب بما يضمن للدول الاستعمارية عامة وبريطانيا خاصة وجوداً مستديماً في العالم الإسلامي ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الحركة الصهيونية قد تحالفت بادئ الأمر مع الاستعمار البريطاني، وعن طريق هذا التحالف كانت بريطانيا تتطلع للوصول إلى فلسطين، وقد قال أحد الإنكليز: «إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة إنكليزية وليست حركة يهودية فحسب»[1].

وهنا ملاحظات عامة حول وعد بلفور:

أولاً: ليس من حق بريطانيا أن تصدر وعداً تمنح بموجبه اليهود بلاداً لا تملكها ولا تسيطر عليها ولم يكن لها سلطان للتصرف في أراضيها.

ثانياً: جاء في تصريح بلفور: «ينشأ في فلسطين» أي أن انكلترا لم تتعهد بأن تكون فلسطين كاملة وطناً قومياً لليهود، فإن عبارة «وطن قومي» تعني الملجأ

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب طراز، الشرق العربي الحديث، القاهرة ١٩٦٧، ص٢٧٥-٢٨٥.

أو المأوى الذي يستطيع اليهود أن يفروا إليه من الاضطهادات التي تعرضوا إليها في أوربا.

ثالثاً: جاء في تصريح بلفور عبارة أن «لا يسمح بإجراء شيء» يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن. «وهذه العبارة مضللة غريبة، فقد عدت بريطانيا مسلمي فلسطين -يمثلون ٩٠٪ من السكان في حين لا يمثل اليهود سوى ٢٪ حتى ولو كانوا ٧٪ بعد مجيء دفعات من اليهود- طوائف غير يهودية، وبذلك جعلت فلسطين كأنها بلاد يهودية وسائر السكان من غير اليهود دخلاء أو أقليات ضئيلة، والحقيقة أن المسلمين في فلسطين هم الذي يشكلون غالبية السكان، فهم يمثلون ٩٠٪ ويملكون ٩٥٪ من الأراضي، ويعيشون في فلسطين بلا انقطاع منذ أكثر من ١٣٩٠ سنة.

رابعاً: نص التصريح على المحافظة على الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها، ويلاحظ أن اليهود أنفسهم هم الذين طلبوا ذلك لأن عدداً كبيراً في أمريكا وفي غيرها من دول أوربا، ممن تجنسوا بجنسية البلاد التي يقيمون بها يخشون من أن إنشاء الدولة اليهودية قد يحرمهم من جنسيتهم التي يحملونها ونشاطهم الاقتصادي الذي يزاولونه.

أما المسلمون فقد أثار هذا التصريح حيرة وفزعاً فيهم جميعاً، إذ رأوا فيه اعتداء على جزء من أراضيهم هو فلسطين، وسلب حقوق أهله وتسليمه لليهود، وبذلت بريطانيا جهوداً طائلة لتبديد مخاوف المسلمين حتى لا تتوقف مساعدتهم للحلفاء والحربُ لا تزال دائرة، فأرسلت بريطانيا

مبعوثاً خاصاً هو «غارث» لمقابلة الشريف حسين بن علي وطمأنته إلى حسن نوايا الحكومة البريطانية وأقنعته بأن التعاون بين المسلمين واليهود يحقق الخير لهم جميعاً.

والواقع أنه في هذا العالم المادي لا حق إلا للقوة التي يجب أن يسعى إليها المسلمون ويعدوا العدة لها.

وكان تصريح بلفور هو بداية مشكلة فلسطين، إذ سعى اليهود في مؤتمر الصلح وفي مؤتمر سان ريمو ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) لوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وتضمين صك الانتداب بنوداً تهدف إلى تحقيق وعد بلفور[١].

الانتداب البريطاني في فلسطين:

حتى عام ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) كانت فلسطين بمفهومنا الحالي جزءاً من الدولة العثمانية، وتتألف من ثلاث متصرفيات منها: متصرفيتا عكا ونابلس وهما تابعتان لولاية بيروت، ثم متصرفية القدس الشريف وهي متصرفية مستقلة تتبع مباشرة إستانبول، وتضم أربعة أقضية هي: يافا، وغزة، وبئر السبع، والخليل.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استولت الحملة البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي على فلسطين في ١٣٣٦هـ (١٩١٧م)، وخضعت فلسطين للإدارة العسكرية البريطانية ١٣٣٦-١٣٣٩هـ (١٩١٧-١٩٢٠م) بوصفها جزءاً من أراضي العدو المحتلة، وتقرر انتداب بريطانيا عليها في مؤتمر سان ريمو،

(١) د. إسماعيل ياغي، الجذور التاريخية في القضية الفلسطينية، الرياض ١٩٧٩، ص٨٩.

وتضمنت بنود صك الانتداب شروط إنشاء وطن قومي لليهود، وإقامة وكالة يهودية تقدم النصح والمعونة للإدارة الفلسطينية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تتصل بإقامة الوطن القومي لليهود، «كما نص صك الانتداب على تسهيل هجرة اليهود وإقامتهم، دون إضرار بحقوق العناصر الأخرى من السكان ووضعها».

وهكذا جاء صك الانتداب من الأصل منافياً للهدف الذي توخته العصبة من وراء نظام الانتداب، وهو مساعدة الشعوب غير المتطورة على الحكم الذاتي بواسطة دولة كبيرة متقدمة[1].

شرعت بريطانيا في تهويد فلسطين فعينت السير هربرت صموئيل مندوباً سامياً لفلسطين، وهو يهودي متحمس للصهيونية، وقد رشحته الحركة الصهيونية وأقام صموئيل إدارة استعمارية صهيونية كاملة فاختار (بنتويش) نائباً له، وهو صهيوني، ورفع عدد الموظفين اليهود في إدارته إلى أربعة أضعاف عدد الموظفين المسلمين، وعين مديري الهجرة، والجنسية، والتجارية من الصهيونيين، وأخذت تلك الإدارة تصدر القرارات والقوانين التي تهدف إلى صبغ فلسطين بالصبغة اليهودية الصهيونية، فغدت اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية، وظهرت طوابع البريد وقطع النقود تحمل كلمة «أرض إسرائيل» بالعبرية، ترجمة لكلمة فلسطين بالعربية، وعملت الإدارة البريطانية على السماح لأكبر عدد من اليهود بالهجرة إلى فلسطين وتمليكهم أكبر مساحة من الأرض، كما سمحت للوكالة اليهودية بتمثيل اليهود في فلسطين وجعلها دولة داخل دولة، ولا

(١) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص٢٧.

تقرّ بريطانيا أمراً في فلسطين إلا بالاتفاق معها، وتركت لها حرية إقامة المدارس، والمستعمرات، والتشكيلات العسكرية، وتحديد أعداد المهاجرين ومنح الجنسية، والتصرف الاقتصادي، وبينما كانت عملية تهريب السلاح مقبولة لليهود كان المسلم الذي يضبط معه مسدس يحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة وأحياناً بالإعدام. وهكذا تكون بريطانيا قد أوفت بالتزامها نحو الصليبية وتعهدها نحو اليهود بوضع وعد بلفور موضعاً عملياً وتطبيقه فعلاً، ونجحت السياسة الإنكليزية خلال الانتداب في زيادة عدد اليهود في فلسطين، وزيادة تملكهم الأراضي في فلسطين، وإقامة قوتهم العسكرية[1].

المقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار والصهيونية:

أدرك سكان فلسطين ما يدبر لهم، وانفجر الشعور الوطني منذ الانتداب حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ في مظاهرات، واضطرابات، وثورات دامية عبروا فيها عن سخطهم على السياسة البريطانية وحليفتها الصهيونية، وتحملوا عبء الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار، وقاموا بتوحيد القوى الوطنية في فلسطين إثر إعلان وعد بلفور في ١٥ من محرم السنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م)، فقد عقدوا مؤتمراً في القدس سنة ١٣٣٨هـ أعلن فيه المؤتمرون عن رغبتهم في الاستقلال الكامل، والوحدة مع سوريا، ورفض وعد بلفور، وأجمعوا على قراراتهم هذه أمام لجنة (كنغ-كرين) التي جاءت للتحقيق في السنة نفسها، كما اشتركوا مع المؤتمر السوري بدمشق سنة ١٣٣٩هـ، وأجمعوا قراراتهم مع قراراته،

(١) د. إسماعيل ياغي، د. نظام بركات، دراسات فلسطينية، ص١٥١ .

وأعلنوا استقلال سوريا بما فيها فلسطين، وتتويج فيصل ملكاً عليها[1].

وتبلور البرنامج الفلسطيني في الأهداف الرئيسية التالية وهي:

- إلغاء وعد بلفور.
- رفض الانتداب البريطاني، استقلال فلسطين.
- تشكيل حكومة فلسطينية نيابية.
- حق سوريا ولبنان وفلسطين في قيام وحدة بينهم والاستقلال، فهم منطقة طبيعية واحدة.

وفي عام ١٣٣٩ نشبت الاضطرابات في فلسطين، وهاجم السكان اليهود، فقد رفض الزعماء في فلسطين أن يعترفوا بشرعية الانتداب، أو بحق البريطانيين في تنفيذ وعد بلفور، وطالبوا بالاستقلال، وكانوا في البداية يوجهون عداءهم نحو اليهود وحدهم، ولكن مع مرور الزمن تغيّر هذا الاتجاه، وتبلور استياء السكان من الإدارة البريطانية في فلسطين، واتخذ شكل العمل ضد الحكومة، وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة العرب وتحويل الحركة الوطنية عن غاياتها الرئيسية، فكانت تشكل لجاناً للتحقيق تارة، وتدعو زعماء العرب إلى المؤتمر تارةً أخرى، ثم تصدر كتباً بيضاء تبين فيها سياستها، ولكن دون جدوى، بل بالعكس زاد سخط السكان على السياسة البريطانية المتحالفة مع الصهيونية وسيستمر طالما بقي وعد بلفور قائماً تحميه الحراب البريطانية، وقد انفجرت تلك الاضطرابات نتيجة لخيبة الأمل في تحقيق وعود الاستقلال التي بذلت لهم أثناء الحرب،

(١) د. إسماعيل ياغي، د. نظام بركات، دراسات فلسطينية، ص١٥١ .

والاعتقاد بأن تصريح بلفور قد انطوى على إنكار لحق تقرير المصير، ولخوفهم من أن تقضي الهجرة اليهودية إلى إخضاع المسلمين اقتصادياً وسياسياً لليهود.

وعلى العموم كان التعارض بين أغراض الانتداب مطالب العرب المشروعة منشأ كل الاضطرابات التي وصمت عهد الانتداب البريطاني في البلاد، وباءت المحاولات البريطانية جميعها لتسوية المشكلة بالفشل.

أما المسلمون في بقية الأمصار فكانوا في غفلة وجهل، وظلم وضغط من المتسلطين عليهم من المستعمرين وأعوانهم، وكانوا يعيشون في حالة لا تمكنهم من رؤية شيء أو معرفته أو التفكير فيه.

ففي عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) قامت اضطرابات خطيرة في فلسطين، وشكلت لجنة للتحقيق، ثم دعي زعماء العرب الفلسطينيون إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في موضوع تأسيس حكومة فلسطينية، وأصر العرب على ضرورة البدء بإلغاء تصريح بلفور ووقف الهجرة اليهودية، ولكن الحكومة البريطانية أصدرت الكتاب الأبيض الأول ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) والذي ينص على استمرار الهجرة اليهودية في حدود الطاقة الاستيعابية، كما وعد بإنشاء مجلس تشريعي ينتخب أكثر أعضائه، وقد رفضه السكان وقبله اليهود[١].

وتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين حتى دخلها في السنوات العشر (١٣٣٩-١٣٤٩هـ) ٧٦,٦٠٠ مهاجراً، كما زادت مساحة الأراضي التي

(١) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص٣٠-٣٥.

كانوا يمتلكونها بتشجيع من السلطات البريطانية، وسبب ذلك أزمة، وضاقت سبل المعيشة أمام السكان في حين كان اليهود يتلقون المساعدات المالية من الهيئات الصهيونية في الخارج، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد حدثت اضطرابات في فلسطين في عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) بسبب حادث البراق (حائط المبكى)، وذلك لأن اليهود أقاموا ستاراً على الحائط ورفضوا إزالته فثارت ثائرة المسلمين، وقام اليهود بمظاهرات صاخبة واصطدموا بالمسلمين، وسقط مئات من القتلى والجرحى، فشكلت بريطانيا لجنة للتحقيق (لجنة شو)، فأوصت بتحديد الهجرة اليهودية، وفرض قيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود، كما أوصت باستئناف المباحثات لوضع دستور للحكم الذاتي، وعلى الرغم من ذلك أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الثاني في عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) تمسكت فيه بتصريح بلفور، والانتداب، وأعلنت عن تشكيل مجلس تشريعي، وتحديد الهجرة اليهودية، ووقف انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود، وعلى الرغم من أن تلك القرارات لا تحقق الأهداف الرئيسية للسكان إلا أن اليهود شنّوا عليها حملة شعواء حتى اضطرت الحكومة البريطانية إلى التراجع فأصدرت كتاباً آخر سنة(١٣٥٠هـ) -دعاه العرب بالكتاب الأسود- تعهدت فيه الحكومة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية، وشرائهم أراضي العرب، وعلى إثر ذلك عمت فلسطين المظاهرات للاحتجاج ضد الحكومة، وعقد مؤتمر شعبي في نابلس دعا إلى عدم التفاهم مع الإنكليز إلا على أساس

(١) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص٣٠-٣٥ .

المطالبة بالاستقلال ضمن وحدة بلاد الشام[1].

وكان السبب الرئيسي في ازدياد هجرة اليهود في الفترة التي بين ١٣٥٢-١٣٦٥هـ هو اضطهاد النازية الألمانية لليهود بعد أن تولى هتلر الحكم، فأخذ اليهود يهاجرون من ألمانيا فراراً من الاضطهاد النازي، وشهدت فلسطين -ابتداء من عام ١٣٥٢هـ سيلاً من المهاجرين اليهود فوق ما تحتمله طاقة البلاد على نحو ما يوضحه الإحصاء الآتي الذي يبين تعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختلفة:

سنة ١٣٤١	٨٣,٧٠٠	من مجموع سكان فلسطين ٦٤٩,٠٤٨
سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٢٢م	١٧٤,٦٠٦	من مجموع سكان فلسطين ٩٦٦,٧٦١
سنة ١٣٥٤/ ١٩٣٠م	٣٥٥,١٥٧	من مجموع سكان فلسطين ١,٢٤١,٥٥٩
سنة ١٣٥٩/ ١٩٣٥م	٤٦٣,٥٣٥	من مجموع سكان فلسطين ١,٤٧٧,٩٧٧
سنة ١٣٦٥/ ١٩٤٦م	٦٠٨,٢٣٠	من مجموع سكان فلسطين ١,٨٤٥,٥٦٠

وباطراد هجرة اليهود ازدادت المقاومة، وفي رجب ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م قام العرب بإضراب عام بعد أن عقدوا مؤتمراً في القدس في ذي القعدة سنة١٣٥١هـ وقرروا فيه منع الهجرة، ومنع بيع الأراضي لليهود، ورفض التعاون مع بريطانيا، ونشبت الاضطرابات وعمت المظاهرات في أنحاء البلاد احتجاجاً على السياسة الإنكليزية، وتلا ذلك ثورة الشيخ عز الدين القسام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، كما قدمت الأحزاب الفلسطينية مذكرة إلى الحكومة البريطانية ضمنتها مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية الخاصة بتشكيل حكومة نيابية، ووقف الهجرة، وعدم بيع الأراضي، فأجابت

---

[1] محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، الكويت ١٩٨٨، ص١٢٨-١٣٠.

انكلترا بتكوين مجلس تشريعي، ورفضت موضوع وقف الهجرة، ووقف بيع الأراضي، ولم يجد المسلمون مناصاً من إعلان الثورة على بريطانيا.

وفي أواخر عام ١٣٤٥هـ قامت ثورة عنيفة لم تخمد حتى قامت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ (١٩٣٦م) وبدأت الثورة بإعلان الإضراب العام في البلاد، وقد استمر ستة أشهر حتى شلّت حياة البلاد الاقتصادية، واتحدت الأحزاب العربية المختلفة في هيئة واحدة باسم «الهيئة العربية العليا» وقطعت خطوط المواصلات والبرق، وهوجمت المعسكرات البريطانية، واشتدت السلطات البريطانية في أعمال القمع من سفك الدماء وحرق القرى، والسجن، والنفي، والتعذيب.

وكان للثورة الفلسطينية صداها القوي في سائر العالم الإسلامي رغم ضعف وسائل الإعلام يومذاك إذ اعتقد السكان جميعاً أن قضية فلسطين لم تعد قضية أهلها وحدهم، وإنما غدت قضية المسلمين جميعاً، فقامت في العواصم العربية مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية وتوافد المتطوعون من جهات متعددة لنصرة إخوانهم الفلسطينيين[١].

ولم يقف الإضراب وتهدأ الثورة إلا بعد أن تدخل رؤساء الدول العربية وتوسطوا بين حكومة بريطانيا والثوار الفلسطينيين، فتوقف الإضراب في رجب ١٣٥٥هـ، وأفقد ذلك التدخل الحركة العربية في فلسطين جانباً كبيراً من قوتها واندفاعها، فجاء وقف الثورة في صالح الأطماع الاستعمارية.

وعادت بريطانيا إلى سياسة اللجان فشكلت لجنة بيل لدراسة أسباب الاضطراب الأخير في فلسطين، واقترحت اللجنة إنهاء الانتداب، وتقسيم

(١) محسن محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص٢٦٦.

فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية وبقاء الأماكن المقدسة تحت سيطرة الدولة المنتدبة، ورفض كل من المسلمين واليهود تقرير (بيل)، واستؤنفت الثورة في عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م)، واشتدت في عام ١٣٥٧هـ بل لم تنقطع الاضطرابات والثورة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) أي أن الثورة الفلسطينية قد استمرت ثلاث سنوات وخمسة أشهر، من ذي الحجة ١٣٥٤ إلى رجب ١٣٥٨هـ. وقد كتب المجاهدون الفلسطينيون خاصة والشعب الفلسطيني عامة في ثورتهم هذه أروع آيات البسالة والفداء.

لقد كان مسلمو فلسطين الذين يتجاوز عددهم مليوناً ونصف مليون نسمة يقارعون في ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية معاً، بكل ما تملك هاتان القوتان من جنود وحشود وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية، وكانوا يقارعون تلك القوى العالمية وهم قلة لا تكاد تذكر في العدد والسلاح والمال، وفي كل وسائل الحروب والقتال، وكان إيمانهم ويقينهم هو الذي يدفعهم للاستماتة في سبيل غايتهم المثلى وهدفهم الأسمى.

وشهد العالم بأسره على بطولة الشعب الفلسطيني في تلك الثورة، وأخذت صحف العالم وإذاعاته تردد صدى هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزة بما لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام، كما اضطرت الصحف البريطانية نفسها للاعتراف ببطولة الثوار الفلسطينيين الذي قاموا بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة، وتثير الحماسة بين المسلمين من سكان الأمصار العربية بحكم الجوار والقرب، واعترف وزير المستعمرات البريطانية كذلك بخطورة الثورة وقوتها وشجاعة الثوار الذين تدفعهم

عقيدتهم لركوب الأخطار، وأشاد هتلر بالشعب الفلسطيني، وببطولته الخارقة في تلك الثورة التي قارعت الاستعمار والصهيونية معاً[1].

وأدركت بريطانيا استحالة تقسيم فلسطين، وأن أضمن قاعدة للسلام والتقدم في فلسطين هي التفاهم بين المسلمين واليهود، قدعت إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة في لندن في الوقت الذي كانت فيه الثورة الفلسطينية لا تزال محتدمة، وقد وجهت الدعوات لحضور هذا المؤتمر في لندن إلى كل من مصر، والعراق، والسعودية، واليمن، وشرقي الأردن، إضافة إلى عرب فلسطين، والوكالة اليهودية، واجتمع المؤتمر في الأيام الأخيرة من عام ١٣٥٧هـ، ولكن ما إن بدأت اجتماعاته حتى انقسم إلى قسمين، لأن عرب فلسطين رفضوا أن يجلسوا على المائدة التي جلس عليها المندوبون اليهود، وقد انفض المؤتمر في مطلع ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) دون أن يصل إلى أي اتفاق.

في ٢٧ من صفر ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث الذي يشتمل على المقترحات الجديدة، التي تهدف إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات، على أن تحدد علاقاتها مع بريطانيا بمعاهدة تكفل لكل من الدولتين احتياجاتها التجارية والاستراتيجية في المستقبل، ولم توضح بالضبط صيغة الدستور الجديد، ولم تذكر بشكل مهم أن «إنشاء دولة مستقلة والتخلي تماماً عن إشراف الانتداب على فلسطين يستلزمان قيام علاقات بين العرب واليهود تجعل في حيز الإمكان قيام حكومة صالحة» وكان البريطانيون بعد مرور ثلاث سنوات على الثورة الفلسطينية الكبرى لا يزالون يأملون في التوفيق بين الطرفين. أما

(١) حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية، القاهرة ١٩٧٣، ص١١٢-١١٤.

فيما يتعلق بالهجرة فقد ذكر الكتاب الأبيض ضرورة تحديدها بإضافة ٧٥,٠٠٠ خلال السنوات الخمس التالية، وقد قوبل الكتاب الأبيض بالرفض من قبل الجانبين العربي الفلسطيني واليهودي، كما رفض توصيات الكتاب الأبيض الثالث مندوبو الدول العربية عدا مندوب حكومة شرقي الأردن[١].

ووجدت الحكومة البريطانية نفسها في موقف صعب مليء بالتناقضات والأخطار. من المسلَّم به أن المصالح الامبراطورية قد أملت عليها ضرورة مواصلة إقامة علاقات حسنة مع العرب، إلا أن ضغط الساسة العرب على بريطانيا لم يكن فعالاً، وكان من الطبيعي أن تكون الحكومة البريطانية أكثر عطفا على المطالب العربية، وبخاصة ما لم يهدد منها السيطرة البريطانية على فلسطين. ومما يجدر ذكره أن سيطرة بريطانيا على الأراضي المتاخمة لقناة السويس من جهة الشمال كانت تحتل مكاناً هاماً في خطتها الخاصة بوجود وطن قومي لليهود في فلسطين، وبدا هذا واضحاً حين زادت الملاحة والمواصلات الجوية، وفي الوقت نفسه ازداد النقد العلني في بريطانيا لمنح تنازلات على حساب اليهود، في الوقت الذي نظم فيه اليهود الهجرة غير المشروعة على مدى أوسع من ذي قبل إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية.

الولايات المتحدة وقضية فلسطين:

وبنشوب الحرب العالمية الثانية دخلت قضية فلسطين في دور جديد، وأجَّل الزعماء اليهود والعرب نزاعهم مع بريطانيا، وظلت فلسطين هادئة نسبياً حتى عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) وحين انحسرت الحرب عن البلدان العربية شدد اليهود نضالهم ضد تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض، وركز

(١) جواد الحمد، المدخل إلى القضية الفلسطينية، عمان ١٩٩٨، ص١٥٠-١٥١.

الصهاينة الجانب الأكبر من دعايتهم في الولايات المتحدة مستغلين ما يتمتع به اليهود من نفوذ كبير في عالم المال والاقتصاد والصحافة والإعلام، فعقدوا في (بلتيمور) في خلال عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) مؤتمراً كبيراً للبحث في مستقبل الخطط الصهيونية، وقرر المؤتمر فتح باب الهجرة غير المحدودة على أن تشرف عليها الوكالة اليهودية، وأن ينشأ في فلسطين اتحاد يهودي، وأن يشكل جيش يهودي، ونظم اليهود في فلسطين حملة منظمة ضد الحكومة البريطانية، وكثرت حوادث الإرهاب، ورغم أن الوكالة اليهودية قد وعدت بالتعاون ضد الإرهابيين إلا أنها لم تفعل شيئاً يذكر.

حينئذ انتقل مركز ثقل الحركة الصهيونية من انكلترا إلى الولايات المتحدة، وبدا أن الرأي العام الأمريكي يميل إلى العطف على الحركة الصهيونية بتأثير العدد الكبير من اليهود الذين يتمتعون بنفوذ كبير وبخاصة في نيويورك، واتخذ الكونغرس الأمريكي قراراً يعضد إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، فأصدر في محرم ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) قراراً بتشجيع الهجرة اليهودية غير المحددة، وتأسيس دولة يهودية، وكان هذا الاتجاه يجد عضداً من جانب المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الذي يعطف على أماني الصهيونية، ومن جانب الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة وهما الحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي، وبتأثير اليهود طالب ترومان ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) بفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودي دفعة واحدة حلاً لمسألة اليهود المشردين في أوربا، وألح في ذلك كثيراً وإزاء ذلك قررت الحكومة البريطانية أن تدعو الحكومة الأمريكية للتعاون معها لتشكيل لجنة تحقيق مشتركة.

بدأت اللجنة عملها فطافت ببلاد كثيرة في أوربا، وفي فلسطين، والبلاد العربية ثم أصدرت تقريرها في عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)، وقد جاء هذا التقرير وثيقة متناهية في ظلم المسلمين والإجحاف بحقوقهم، وقد سلمت اللجنة بأن فلسطين وحدها لا تستطيع أن تحل مشكلة هجرة اليهود من ضحايا الاضطهاد النازي والفاشي، ومع ذلك أوصت اللجنة بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين دون إبطاء خلال عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م). أما فلسطين فقد رأت اللجنة ألا تتحول إلى دولة يهودية أو إلى دولة عربية بل أن تبقى تحت الوصاية مدة غير محدودة. وأما التوصيات الأخرى فقد شملت فتح باب الهجرة أمام اليهود دون قيد أو شرط، وإلغاء قوانين عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) الخاصة بالأراضي، وزيادة التسهيلات المقدمة لنشر التعليم والتقدم الاقتصادي، واستمر الرئيس ترومان يزاول ضغطه بقصد السماح بإدخال ١٠٠,٠٠٠ يهودي إلى فلسطين في الحال، وقامت بريطانيا بمجهود آخر لحل القضية الفلسطينية، فدعت العرب واليهود إلى مؤتمر بلندن عقد في ذي القعدة ١٣٥٦هـ ومحرم ١٣٦٦هـ ولكن رفضه الجانبان، وباءت محاولات بريطانيا بالفشل.

وفي خلال عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥م ازدادت هجمات الإرهابيين اليهود اتساعاً فنسفت الجسور، ودمرت السكك الحديدية، وبثت الألغام في مراكز الشرطة والمصارف المالية، ومحطات السكك الحديدية، وهوجمت معسكرات الاعتقال، وأطلق سراح المهاجرين اليهود غير الشرعيين الذي اشتدت الحملة بسببهم لإدخالهم إلى فلسطين، ولجأوا إلى الاغتيال السياسي، فنسفوا فندق الملك داود بالقدس، وكانت تشغله أمانة سر

حكومة فلسطين، واغتالوا لورد موين وزير الدولة البريطانية في القاهرة، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين[1].

ولما تبينت بريطانيا استحالة الوصول إلى حل يوافق عليه العرب واليهود قررت رفع المشكلة إلى الأمم المتحدة للفصل، فيها فقد كان العرب يرغبون في إقامة دولة عربية مستقلة، على حين كانت الوكالة اليهودية تطالب بهجرة غير محدودة حتى تصبح لليهود أغلبية عددية تمكنهم من إنشاء دولة يهودية مستقلة.

الأمم المتحدة وتقسيم فلسطين سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م):

انتقلت مشكلة فلسطين إلى المنظمة الدولية التي خصصت بضع جلسات (من رجب عام ١٣٦٦هـ إلى ذي الحجة ١٣٦٦هـ)، فقررت تعيين لجنة فرعية خاصة للتحقيق، وانتهت اللجنة الخاصة من وضع تقريرها في شوال ١٣٦٦هـ وعرضته على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتضمن التقرير اثنتي عشرة توصية تقضي بإنهاء الانتداب ومنح فلسطين الاستقلال، وإقامة نظام دستوري ديمقراطي يتمشى مع حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات مع إلغاء الامتيازات، والمحافظة على الوحدة الاقتصادية لفلسطين، على أن تتوقف أعمال العنف فوراً وأن تحل هيئة الأمم المتحدة على الفور مشكلة المشردين اليهود في أوربا.

ولكن اختلفت اللجنة حول الخطة التي يجب أن تنفذ بها هذه التوصيات، وظهر مشروعان أحدهما للأكثرية والآخر للأقلية، ودعا مشروع الأكثرية إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين:

(١) د. محمود منسي، مرجع سابق، ص٢٨٠-٢٩٠.

١- دولة يهودية تبلغ مساحتها ٥٦٪ من مجموع مساحة فلسطين في حين كانت مساحة الأراضي التي كان يملكها اليهود ضمن فلسطين كلها لا تزيد على ٧٪ ، فقط هذا ويلاحظ أيضاً أن عدد اليهود في هذه الدولة كان لا يكاد يصل إلى نصف مليون نسمة في حين كان عدد المسلمين فيها نحو ٨٠٠ ألف نسمة .

٢- دولة عربية تمثل ٤٣٪ من مجموع المساحة ، وقدر عدد العرب فيها بـ ٧٢٥ ألفاً ، أما تعداد اليهود فلا يزيد على عشرة آلاف .

٣- قطاع دولي يشمل مدينة القدس وما يحيط بها[١] .

واشترط التقرير أن تستقل كل من الدولتين العربية واليهودية بعد سنتين ، وأن تدير انكلترا شؤون فلسطين خلال مدة الانتقال هذا . أما مشروع الأقلية فاقترح إنشاء دولة مستقلة اتحادية ، وقد رفض العرب مشروعي الأكثرية والأقلية في حين رحبت الدوائر اليهودية بمشروع الأكثرية آملة أن تسعى بعد ذلك إلى توسيع الرقعة التي خصصها المشروع للدولة اليهودية .

وفي ١٤ من ذي الحجة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) عرض المشروع على الجمعية العامة للأمم المتحدة ففاز قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً ، وأعلن وزير خارجية بريطانيا أن بلاده ستنسحب من فلسطين ، وستنهي انتدابها يوم أوائل جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ . ومما يجدر ذكره أن

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، بريطانيا وفلسطين (١٩٤٥-١٩٤٨) ، الكويت ١٩٨٤ ، ص٥٥-٧٥ .

مشروع التقسيم دار حوله جدل عنيف ، وطالت المناقشات بشأنه، وكافح ممثلو الدول العربية كفاحاً مريراً للاحتفاظ بوحدة فلسطين، ولكن الضغط الأمريكي والصهيوني استخدم شتى الوسائل حتى يجيء التصويت إلى جانب مشروع التقسيم، وتعرض مندوبو بعض الدول إلى صنوف الإرهاب والابتزاز حتى يوافقوا على المشروع مثلما حدث مع مندوبي ليبريا وهايتي والفلبين، وذلك لتوافر أغلبية ثلثي أعضاء الجمعية العامة للحصول على الموافقة على المشروع[1].

حرب عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م):

رفض الفلسطينيون والعرب جميعاً قرار التقسيم، واحتدمت الاضطرابات المسلحة بين العرب واليهود، وانفجرت ثورة الشعب الفلسطيني فوقعت الاصطدامات بين العرب واليهود، قتل فيها عدد كبير من الجانبين، وأخذت السلطات اليهودية تستورد السلاح بكميات كبيرة، وتفتح الاعتمادات لإنشاء جيش كبير، وحينئذ اقترحت الولايات المتحدة وقف تنفيذ قرار التقسيم، وفرض الوصاية على فلسطين تأجيلاً للحل النهائي دون أن تبدي استعدادها لقبول هذه الوصاية لأنها لم تكن ترغب في إرسال قوات مسلحة إلى فلسطين بعد أن استنزفت قواتها خلال الحرب العالمية الثانية، ورفض اليهود ذلك، كما رفضت إنكلترا والاتحاد السوفيتي الاقتراح الأمريكي.

وكون العرب «جيش الإنقاذ»، وأخذ المتطوعون المسلمون من البلاد

(١) المرجع السابق، ص٨٠-٩٥ .

العربية المجاورة يجتازون الحدود لنصرة إخوانهم في فلسطين، وارتكب اليهود فظائع تقشعر لها الأبدان، ومنها مذبحة دير ياسين، وذلك لبث الإرهاب كي يترك الناس أوطانهم وينسحبوا منها، كما أسرع اليهود في احتلال بعض المدن العربية تساعدهم حكومة بريطانيا المنتدبة بالأسلحة، في حين تحرم على المسلمين حمل السلاح، ونتج عن العنف والمذابح هجرة عدد من سكان فلسطين إلى الخارج[1].

وما إن أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب البريطاني حتى أسرع اليهود إلى إعلان قيام دولته «إسرائيل»، وكانت حكومة الولايات المتحدة أول من اعترف بها وتلاها الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الأخرى.

وإزاء ذلك الوضع المتردي قررت الدول العربية التدخل العسكري في فلسطين، لإنقاذ أهلها ومساعدتهم على إقامة حكومة وطنية موحدة في فلسطين، وأدخل رجالات الحركة الإسلامية السجون، لأنه من المحتمل أن يقوموا بحركات لا تتفق مع ما هو مرسوم، وكان هذا يتكرر قبل كل حرب تجري بين العرب واليهود. وعلى الرغم من أن الجيوش العربية قد تدخلت عسكرياً دون سابق استعداد مما أظهر نقصاً فاحشاً في التسليح والتدريب والتنظيم إلا أنها أحرزت بعض الانتصارات على أرض فلسطين في الأسبوع الأول من الحرب، وفي الوقت نفسه كان لهذا الدخول أثر سلبي، إذ طلبت من السكان الخروج من مدنهم كي لا يتأثروا بدخول الجيوش العربية، ولم يتجاوز بعضها حدود فلسطين التي رسمت بعد الحرب العالمية الأولى ضعفاً أو حسب خطة مرسومة -الله أعلم- لأن قادة العرب يعرفون النتيجة. وقدم

(١) Kimche, John, The Seven Fallen Pillars, P.228.

المندوب الأمريكي بإيعاز من دولة اليهود اقتراحاً إلى مجلس الأمن لوقف القتال مدة شهر، فوافق العرب شريطة أن تتوقف شحنات الأسلحة إلى اليهود ويتوقف أيضاً سيل المهاجرين الجدد، فأوقف مجلس الأمن القتال وحرم على الطرفين جلب الأسلحة ولكنه سمح للمهاجرين اليهود بالقدوم على ألا يشتركوا في القتال خلال الهدنة، وهكذا فرضت الهدنة الأولى في فلسطين ابتداء من شعبان ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، ولا شك أن هذه الهدنة قد أعطت لليهود فسحة من الوقت لتنظيم قواتهم وجلب السلاح الذي كان يعوزهم، وبخاصة سلاح الطيران، والمدفعية والمدرعات الثقيلة على الرغم من مخالفة ذلك لشروط الهدنة في الوقت الذي بقي فيه العرب على حالهم من فقر في السلاح والمعدات، وانقسام في الخطط العسكرية، إلى جانب الخلافات السياسية، حتى إذا تجدد القتال في رمضان بدأ رجحان كفة اليهود في فلسطين في جميع الجبهات، وعاد مجلس الأمن فأوقف القتال بعد عشرة أيام وفرض الهدنة الثانية، وقد كسب اليهود في خلال هذه الأيام العشرة مزيداً من أرض فلسطين بلغ ثلاثة أضعاف ما كسبوه في الجولة الأولى، واستطاعت دولة اليهود أن تحقق مزيداً من الانتصارات وكسب الأراضي بسبب خلافات الدول العربية، وفشلت الدول العربية في تحرير فلسطين، وفي عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) عقدت معظم الدول العربية اتفاقيات هدنة دائمة مع دولة اليهود.

ونتج عن حرب فلسطين عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) قيام دولة اليهود، وبقي في يد العرب منطقتان: الضفة الغربية، وقد ضمت للأردن، وقطاع غزة وقد بقي تحت الإدارة المصرية، وتشريد ثلاثة أرباع مليون لاجئ

فلسطيني لجأوا إلى البلاد العربية المجاورة[1].

القضية الفلسطينية بعد عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م):

وبعد ثمانية أعوام من الحرب الأولى ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) بين العرب واليهود، حدث العدوان الثلاثي من جانب (إنكلترا - فرنسا - إسرائيل) على مصر، وأخذ قطاع غزة من أيدي القوات المصرية، وقد سبق هذا ضرب للحركة الإسلامية في مصر، فعند العدوان كانت المهيضة الجناح لا تستطيع أن تفعل شيئاً، وهي التي فعلت الكثير ضد اليهود عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، وضد الإنكليز في القناة عام ١٣٧٠هـ، وبعد ثلاثة أيام من العدوان تدخلت الولايات المتحدة فتوقف القتال.

إن مشكلة اللاجئين العرب تشكل مأساة من مآسي الإنسانية الكبرى، وقد تفاقمت نتيجة لحرب ٢٥ من صفر ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) واستيلاء اليهود على سائر الأراضي الفلسطينية، إضافة إلى سيناء في مصر، والجولان في سورية، وقد ضربت حكومة اليهود هذه البلاد دولة دولة، فبدأت بمصر فالأردن وسورية، بحيث كانت كل دولة تنتظر دورها حتى يتم نقل الجنود اليهود من جبهة وأخرى، كأنها خطة مرسومة أو تمثيلية هادفة، وسبق هذه الحرب ما سبق غيرها من زج أصحاب الحركات الإسلامية في السجون، وخاصة في مصر وسورية، ورفضت إسرائيل عودة اللاجئين إلى ديارهم، وقد تحولت قضية فلسطين منذ قيام إسرائيل عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) إلى مشكلة دولية عالمية، فأصبحت الولايات المتحدة تقدم الدعم المدي

(١) محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية، ص١٩ .

والعسكري لدولة اليهود، في حين تحولت الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي عن تأييد دولة اليهود بعد أن تبين لها أن هذه الدولة ليست إلا امتداد للقوى الاستعمارية في المنطقة وأنها تستعمل أداة بيد الدول الغربية، فتوقف الدعم العسكري، وإن كانت تزودها بالعقول البشرية التي تهاجر في استمرار من الاتحاد السوفيتي إلى دولة اليهود[1]، إضافة إلى أن الدول الاشتراكية لم تكن تحرك ساكناً وقت الأزمات وكان يعتريها الصمت.

وأمعنت الدول الغربية الكبرى في تأييدها لدولة اليهود، فأصدرت دول الغرب الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في رجب ١٣٦٩هـ مايو ١٩٥٠ تصريحاً مشتركاً أعلنت فيه عزمها على المحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة، ومعارضتها الأكيدة لاستخدام أية دولة في هذه المنطقة القوة أو التهديد بالقوة، كما أعلنت أنها ستعمل بكل ما في وسعها لمنع أية دولة من نقض الهدنة أو تعديل خطوطها، وكذلك عبرت الدول الثلاث في هذا التصريح عن معارضتها لأي سباق للتسلح بين الدول العربية وإسرائيل وهكذا حرص الغرب على سلامة إسرائيل وضمان حدودها حتى لقد مُنِعت عن تزويد الدول العربية بالسلاح، في حين مضت إسرائيل تتزود بالسلاح من الولايات المتحدة الأمريكية.

وبفضل مساندة الدول الغربية الكبرى لليهود أمعنت دولتهم في نقض الهدنة كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وخاصة في عام ١٣٧٤هـ حين قامت بعدوان غادر على قطاع غزة، وقامت بعدوانها على مصر عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) بالاشتراك مع إنكلترا وفرنسا، وقد استخدم الاستعمار

(١) عبد الله التل، كارثة فلسطين، القاهرة ١٩٥٩، ص٦٧-٦٩.

اليهود كمخلب قط واتخذ دولتهم قاعدة للعدوان في العالم الإسلامي يزودها في استمرار بالمساعدات السياسية والعسكرية والمالية والفنية، وقد قامت دولة اليهود أيضاً بعدوان في صفر ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) واحتلت بقية فلسطين والجولان وسيناء، ورفضت الانصياع لقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالانسحاب وعودة اللاجئين إلى ديارهم، ونتج عن حرب ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) قيام الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف بها العالم بأسره ممثلاً للشعب الفلسطيني[١].

وقد قام العرب بشن حرب في ١٠ من رمضان ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) وأحرزوا انتصارات عسكرية وسياسية محدودة من جهة، وأحرز اليهود انتصارات أيضاً بعد الأيام الأولى التي انتصر فيها العرب، وجاءت صفارة الحكم لوقف القتال والعمل للحل السلمي.

وبدأ عمل الفدائيين الفلسطينيين الذين تجمعوا في لبنان، وسدت في وجوههم بقية الحدود، وظهر أثرهم في لبنان، كما ظهر في فلسطين على اليهود.

وقامت الحرب الأهلية في لبنان ١٣٩٥-١٣٩٧هـ.. (١٩٧٥-١٩٧٧م). وتدخلت بعض الدول العربية ونال الفلسطينيين قسطٌ قسطاً من الضرب والقتال وخاصة في تل الزعتر.

واشتركت بعض الدول العربية في إرسال قوات من جيوشها كقوة لردع المعتدي في لبنان، وبعد مدة بقيت القوة السورية وحدها، ثم دخل اليهود

(١) د. إسماعيل ياغي، د. نظام بركات، دراسات فلسطينية، ص١٧٥-١٧٧.

لبنان من الجنوب، وحاصروا بيروت الغربية، ولم يتمكنوا من دخولها لأن فيها مقاومة فلسطينية، ثم انسحبت هذه المقاومة حماية للمدينة، بعثر الفدائيون الفلسطينيون في سوريا، والعراق، والأردن، واليمن، ومصر، والسودان، وتونس، و. . .

ثم إن اليهود قد أقدموا على ارتكاب جريمة بشعة نكراء، إذ دخلوا مخيمي صابرا وشاتيلا، وذبحوا آلافاً عدة من الفلسطينيين، ولم يخرج اليهود بعد من لبنان[1].

واستمرت اعتداءات اليهود على العرب في المساجد كما حدث في المسجد الأقصى عام ١٩٩٠ والحرم الإبراهيمي ١٩٩٤ و١٩٩٦، وغيرها من وسائل تدمير المنازل ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وطرد السكان. وفي عام ١٩٩٠ بدأت مباحثات السلام في مدريد وانتهت بتوقيع اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ والقاهرة ١٩٩٤ ودخول السلطة الفلسطينية إلى غزة وعقدت اتفاقات بشأن العرب واليهود.

(١) هنري كتن، فلسطين في ضوء الحق والعدل، بيروت ١٩٧٠، ص٣٨-٤٠ .